

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في أهمية السياق للمعنى .

ما أظنُّ بكَ أيها القارئ لكتابنا إن كنتَ وفَّيْتَه حقَّه من النظرِ وتدبُّرَتَه حقَّ التدبُّرِ إلَّا أنَّكَ قد علمتَ علماً أبيض أن يكون للشكِّ فيه نصيبٌ وللتوقُّفِ نحوكَ مذهبٌ أنْ ليس النظمُ شيئاً إلَّا توخيَّ معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بيِّنَ معاني الكلم . وأنك قد تبيَّنتَ أنه إذا رُفِعَ معاني الذِّحو وأحكامه مما بينَ الكلمِ حتى لا تُرادَ فيها في جملةٍ ولا تفصيلٍ خرجت الكلم المنطوقُ ببعضها في أثرٍ بعضٍ في البيتِ من الشعرِ والفصلِ من الذِّثْرِ عن أنْ يكونَ لكونها في مواضعها التي وُضِعَتْ فيها مُوجبٌ ومُقتَضٍ وعنْ أنْ يتصوَّـرَ أن يقالَ في كلمة منها إنها مرتبطةٌ بصاحبةٍ لها ومتعلِّـقَةٌ بها وكائنةٌ بسببِ منها وأنَّ حسنَ تصوُّركَ لذلك قد ثَبَّتَ فيه قَدَمَكَ وملاً مِنَ الثقةِ بنفسِكَ وباعدك من أن تحنَّـسَ إلـى الذي كنتَ عليه وأن يَجُرَّـكَ الإلْفُ والاعتیادُ إلـيه وأنك جعلتَ ما قلناه نقشاً في صدركَ وأثبتَّـه في سويداءِ قلبكَ وصادقتَ بينه وبينَ نفسك . فإنَّ كانَ الأمرُ كما طناه رجونا أن يصادفَ الذي نريدُ أن نستأنفَه بعونِ الله تعالى منك نيةً حسنةً تقيك المللَ ورغبةً صادقةً تدفعُ عنكَ السَّامَ وأَرْوِيحَةً يخفُّ معها عليك تعبُ الفِكرِ وكدُّ النظرِ . واللهُ تعالى وليُّ توفيقك وتوفيقنا بمنه وفضله . ونبدأ فنقول :

فإذا ثبتَ الآن أنَّ لا شكَّ ولا مَرِـيَّةَ في أنَّ ليس النظمُ شيئاً غيرَ توخِّي معاني النحو وأحكامه فيما بينَ معاني الكلم ثبتَ من ذلك أنَّ طالبَ دليلِ الإعجازِ مِنَ نَظْمِ القرآنِ إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يَعْلَمْ أنها معدنُهُ ومعانه وموضعه ومكانُهُ وأنه لا مُسْتنبَطَ له سِوَاهَا وأنَّ لا وجهَ لطلبه فيما عداها غارُ نفسه بالكاذبِ من الطَمَعِ ومُسْلَمٌ لها إلى الخُدَعِ وأنه إنَّ أبى أن يكونَ فيها كان قد أبى أنْ يكون القرآنُ معجزاً بنظمه ولَزِمَ أنْ يُثَبَّتَ شيئاً آخرَ يكونُ مُعْجِزاً به وأنَّ يلحقَ بأصحابِ الصَّـرْفَةِ